ملخص منهاج السنة لابي العباس بن تيمية رحمه الله تعالى
والملخص للشيخ عبد الرحمن بن حسن وفقه الله تعالى

وقف الشيخ عبد العزيز بن
على الناظر عليه اولاده
بمكة وكتب

١٧/ اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذه مختصر منهاج السنة لابي العباس
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني انتخاب شيخنا عبد الرحمن بن حسن
قال رحمه الله بعد كلام سبق واما المثبتون للقدر فهم جمهور الامة وائمتها الصحابة
والتابعين واهل البيت وغيرهم فهؤلاء تنازعوا في اثبات عدل الله وحكمته والظلم
الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل افعاله واحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة ان
الظلم ممتنع منه غير مقدور وهو محال لذاته كالجمع بين الضدين وان كل ممكن مقدور فليس
هو ظلم وهؤلاء هم الذين قصد الرد عليهم وهم الذين يقولون انه لو عذب المطيعين ونعم
العاصين لم يكن ظالما وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء او هو مخالفة
الامر والله تعالى لا امر له وهذا قول كثير من اهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء
اصحاب الائمة الاربعة وقالت طائفة بل الظلم مقدور ممكن والله تعالى منزه عنه لا يفعله
لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث اخبر انه لا يظلم الناس شيئا والمدح انما يكون بترك المقدور
لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا
هضما وقالوا الظلم الذي يحمل عليه سيئات غيره والهضم ان يحمل من حسنات غيره وقال تعالى
تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاخبر انه لم يظلمهم
وقال تعالى ما اهلكهم بل اهلكوا انفسهم وقال تعالى وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون فدل على ان القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه
وقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا فدل على ان ذلك ظلم ينزه الله تعالى عنه وقال تعالى وما انا بظلام
للعبيد وانما نزه نفسه عن امر يقدر عليه لا عن ممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير
موضع مما يبين ان الله ينصف بين العباد ويقضي بينهم وان القضاء بينهم بغير العدل
ظلم ينزه الله تعالى عنه وانه لا يحمل على احد ذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى وقد
ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يا عبادي اني حرمت الظلم
على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فقد حرم الله على نفسه الظلم كما كتب على نفسه
الرحمة وفي الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي

غلبت

غلبت

غلبت غضبي والامر الذي كتبه الله على نفسه او حرمه على نفسه لا يكون الا مقدورا له
فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه وهذا القول الذي يجب اعتقاده وهو
قول كثير من اهل السنة المثبتين للقدر من اهل الحديث والتفسير والفقه والكلام
والتصوف وعلى هذا القول فهؤلاء هم اعلى القائلون بعدل الله واحسانه دون
من يقول من القدرية وهم المعتزلة ان من فعل كبيرة حبط ايمانه فان هذا نوع من
الظلم الذي نزه الله نفسه عنه وهو القابل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك الحكمة اجمع المسلمون على ان الله تعالى موصوف بالحكمة
لكن تنازعوا في تفسير ذلك فقالت طائفة الحكمة ترجع الى علمه بافعال العباد
وايقاعها على الوجه الذي اراده ولم يثبتوا الا العلم والارادة والقدرة وقال
الجمهور من اهل السنة وغيرهم بل هو حكيم في خلقه وامره والحكمة ليست مطلقة
المشيئة والارادة اذ لو كانت كذلك لكان كل مريد حكيما ومعلوم ان الارادة
تنقسم الى مذمومة ومحمودة بل الحكمة ما في خلقه وامره من العواقب المحمودة
والغايات المحبوبة والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة
ومن وافقهم من الشيعة فقط بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من اهل
الحديث والتفسير والفقه والتصوف والكلام فائمة الفقهاء متفقون
على اثبات الحكم والمصالح في احكامه الشرعية وانما تنازع في ذلك طائفة
من نفاة القياس وغيرنفاته وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح
لعباده معلوم واصحاب القول الاول كالاشعري وجهم ومن وافقهما من اصحاب
مالك والشافعي واحمد وغيرهم يقولون ليس في القرآن لام تعليل في افعال الله
تعالى بل ليس فيه الا لام العاقبة واما الجمهور فيقولون بل لام التعليل داخلة
في افعال الله تعالى والقاضي ابو يعلى وابو الحسن بن الزاغوني ونحوهما من اصحاب
احمد وان كانوا يقولون بالاول فهم يقولون بالثاني ايضا في غير موضع وكذلك
اشباههم من الفقهاء واما ابن عقيل والقاضي في بعض مواضع وابو حازم ه

وابو الخطاب الصغير فيهم حون بالتعليل والحكمة في افعاله تعالى موافقة لمن قال ذلك
من اهل النظر والحنفية هم من اهل السنة القائلين بالقدر وجمهورهم يقولون بالتعليل
والمصالح والكرامية وامثالهم هم ايضا من القائلين بالقدر المثبتين لخلافة الخلفاء
المفضلين لابي بكر وعمر وعثمان وهم ايضا يقولون بالتعليل والحكمة وكثير من اصحاب
احمد والشافعي يقولون بالتعليل والحكمة وبالتحسين والتقبيح واهل السنة يقولون
بالتعليل يقولون ان الله يحب ويرضى لما دل عليه الكتاب والسنة ويقولون ان
المحبة والرضى اخص من الارادة واما المعتزلة واكثر اصحاب الاشعري فيقولون
ان المحبة والارادة والرضى سواء وجمهور اهل السنة يقولون ان الله لا يحب الكفر
والفسوق والعصيان ولا يرضاه وان كان داخلا في ارادته كما دخلت سائر المخلوقات
لما في ذلك من الحكمة وهو وان كان شرا بالنسبة الى الفاعل فليس كل ما كان شرا بالنسبة
الى شخص يكون عديم الحكمة بل لله في مخلوقاته حكم قد يعلمها الناس وقد لا يعلمها
الى ان قال رحمه الله في بحثه مع اهل الكلام في صفات الفعل فلا يلزم قدم جميع الحوادث
ولا حدوث جميعها بل يلزم قدم نوعها وحدوث اعيانها كما تقول ائمة السنة
ان الرب لم يزل متكلما اذا شاء ويقولون ان الفعل من لوازم الحياة والرب لم يزل
حيا فلم يزل فعالا وهذا معروف من قول ائمتها كاحمد بن حنبل والبخاري ونعيم
بن حماد والخزاعي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم ممن قبلهم كابن عباس وجعفر
الصادق وغيرهما ومن بعدهم وهم يقولون ذلك عن ائمة السنة والحديث
~~اعلم الناس بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين~~ ويقولون ان من
يخالف هذا القول فهو مبتدع ضال وهؤلاء وامثالهم عندكم هم ائمة السنة والحديث
وهم اعلم الناس بمقالة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن اتبع الناس
لهؤلاء وغيرهم كسفيان بن عيينة احتجوا على ان كلام الله غير مخلوق بان الله
لم يخلق شيئا الا بكن الى ان قال كما اذا قيل لا يكون خالقا الا بعلم وقدرة امتنع ان يكون
العلم والقدرة مخلوقين فيجب ان يكون متقدما على كل مخلوق قال الله تعالى
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم
الكتاب

الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جائتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالخالق سبحانه يمتنع ان يكون معه شئ
شئ من العالم كائنا ما كان سواء قيل يخلق بمشيئته وقدرته كما يقوله المسلمون
وغيرهم او لا والاقوال المخالفة للحق كلها باطلة وكان الناس لما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم على ضلال عظيم كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وان ربي
قال لي قم في قريش فانذرهم فقلت اى رب اذا يثلغوا راسي ويدعوه خبزة قال انى
مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا فابعث
جندا ابعث اليك مثليهم وقاتل بمن اطاعك من عصاك وانفق انفق عليك
وقال اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت
لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا الحديث بطوله ثم استطرد في رده على
اهل الكلام فذكر قول الكلابية في القرآن فالقديم معنا واحد هو الامر بكل مامور والمخبر
بكل مخبر وهو معنى التوراة والانجيل والقرآن وهو معنى آية الكرسي وآية الدين
وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق ولم يقولوا انه يتكلم بمشيئته وقدرته وانكروا
ان يكون الكلام العربي كلام الله والحزب الثاني قالوا بل الحروف والاصوات قديمة
ازلية الاعيان وقالوا الترتيب في ذاتها لا في وجودها وفرقوا بين الحقيقة وبين
وجود الحقيقة كما يفرق كثير من اهل الكلام بين وجود الرب وبين حقيقته
وكثير منهم ومن الفلاسفة يفرقون بين وجود الممكنات وبين حقيقتها وقالوا
الترتيب هو في حقيقتها لا في وجودها بل هي موجودة ازلا وابدا لم يسبق منها بعضها
شيئا وان كان حقيقتها مرتبة ترتيبا عقليا لا كترتيب الذات على الصفات
وكترتيب المعلول على العلة وهؤلاء يجعلون التقدم والتاخر والترتيب غير
عقليا ووجوديا ويدعون ان ما اثبتوه من الترتيب والتقدم والتاخر هو عقلي

لا وجود له قال الملخص وفقه الله وهذا ان القولان شر من قول الجهمية في القرآن لان
الجهمية لهم شبهة في قولهم ان القرآن مخلوق وهؤلاء لا شبهة لهم وليس معهم الا
القول على الله بلا علم تعالى الله عما يقول هؤلاء علوا كبيرا انتهى واما جمهور
العقلاء فينكرون هذا ويقولون ان قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة وان
الترتيب والتقدم والتاخر لا يعقل الا بوجود الشيء بعد غيره لا يمكن كونه معه
ولا يكون الا بعده كما يقولون ان المعلول لا يكون الا بعد علته ولا يكون معها
والمقصود ان هذه الطريقة الكلامية التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة و
انكرها سلف الامة وائمتها صارت عند كثير من النظار والمتاخرين هي دين
الاسلام بل يعتقدون ان من خالفها فقد خالف دين الاسلام مع انه لم ينطق
بما فيها من الحكم والدليل لا اية من كتاب الله ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
احد من الصحابة والتابعين فكيف يكون دين الاسلام معالم يدل عليه لا كتاب ولا سنة
ولا قول احد من سلف الامة ثم حدث في الاسلام الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم
حدثوا وانتشروا بعد انقراض الاعصار المفضلة وصار كل زمان ومكان يضعف فيه
نور الاسلام يظهرون فيه وكان من اسباب ظهورهم انهم ظنوا ان دين الاسلام
ليس الا ما يقوله اولئك المبتدعون فرأوا دين الاسلام المعروف فاسدا وكان غلاتهم
يطعنون في دين الاسلام باليد واللسان فيقال لهؤلاء الملحدين من اين لكم قدم شيء
من العالم وليس في العقل ما يدل على ذلك فيخاطبون اولا بالمطالبة بالدليل وليس على ذلك
دليل صحيح قال رحمه الله تعالى وجمهور العالم من جميع الطوائف يقولون بان كل ما
سوى الله مخلوق حادث كائن بعد ان لم يكن وهذا قول الرسل واتباعهم من المسلمين واليهود
والنصارى وغيرهم وقد تكلم علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
في اول هذه المخلوقات على قولين حكاهما ابو العلا الهمداني وغيره احدهما انه هو العرش
والثاني انه هو القلم ورجحوا القول الاول لما دل عليه الكتاب والسنة ان الله لما قدر مقادير
الخلق بالقلم الذي امره ان يكتب في اللوح كان عرشه على الماء فكان العرش مخلوقا قبل
القلم والواجب في الادلة الالهية ان يسلك هذا المسلك فيعلم ان كل كمال كان للمخلوق
فالخالق

فالخالق احق به فان كمال المخلوق من كمال خالقه فاذا كان احق باثبوت الكمال كان احق بنفي النقص
وهذه القضية برهانية يقينية وهم يسلمونها قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق الا تذكرون واذا
كان كذلك فمن المعقول ان الفاعل الذي يفعل بقدرته ومشيئته اكمل ممن لا قدرة له
ولا مشيئة له ولا ارادة له ومذهب سلف الامة وائمتها ان يوصف الله بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف
ولا تمثيل ويثبتون لله ما اثبته لنفسه من الصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات
اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير رد على
المعطلة والمقصود ان اثبات الاسماء والصفات لم يستلزم ان يكون سبحانه
مشابها مماثلا لخلقه ثم يقال ثانيا الذي جاء به الكتاب بان الله مخصوص بالالهية فلا اله الا هو فهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وانزل به
كتبه كما قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال تعالى ولا
تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ومثل هذا في القرآن كثير وقوله فاعلم
انه لا اله الا الله وقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وبالجملة
فهذا اول ما دعى اليه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله وقال لعمه ابي طالب يا عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله وقال من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال
لقنوا موتاكم لا اله الا الله وكل هذه الاحاديث في الصحاح وهذا من اظهر ما يعلم
من دين النبي صلى الله عليه وسلم وهو توحيد الالهية انه لا اله الا هو والاقوال
نوعان فما كان منصوصا في الكتاب وجب الاقرار به على كل مسلم وما لم يكن
له اصل في النص والاجماع لم يجب قبوله ولا رده حتى يعرف معناه واما قوله
وما سواه محدث فهذا حق والضمير فيما سواه عائد الى الله سبحانه وهو اذا

ذكر اسم مظهر او مضمر دخل في مسماه اسم صفاته فهو لا يخرج عن مسمى اسمائه فمن قال
دعوت الله او عبدته فهو انما دعا الحي العليم القدير الموصوف بالعلم والقدرة وسائر صفات
الكمال واما قوله لانه واحد ليس بجسم فان اراد بالواحد ما اراد الله ورسوله مثل قوله والهكم
اله واحد وهو الله الواحد القهار فهذا حق وان اراد بالواحد ما تريده الجهمية نفات
الصفات من انه ذات مجردة عن الصفات فهذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وانما
يقدر في الاذهان لا في الاعيان ويمتنع وجود ذات مجردة عن الصفات ويمتنع وجود
عليم في قدير لا حياة له ولا علم ولا قدرة فاثبات الاسماء دون الصفات سفسطة في العقليات
وقرمطة في السمعيات الى ان قال وتمام ذلك ان نقول ان الناس عليهم ان يؤمنوا بالله
ورسوله فيصدقوه فيما اخبر ويطيعوه فيما امر فهذا اصل السعادة وجماعها والقرآن
كله يقرر هذا الاصل قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله
واولئك هم المفلحون فقد وصف الله سبحانه بالهدى والفلاح المؤمنين الموقنين
في هذه الايات وقال تعالى لما اهبط آدم من الجنة فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكره فان له معيشة ضنكا الى قوله تنسى فقد
اخبر ان من اتبع الهدى الذي اتى منه وهو ما جائت به الرسل فلا يضل ولا يشقى
وهو الذكر الذي انزله وهو كتبه الذي بعث بها الرسل بدليل انه قال بعد ذلك
كذلك اتتك اياتنا فنسيتها الى ان قال فالله سبحانه بعث الرسل بما
يقتضي الكمال من اثبات اسمائه وصفاته على وجه التفصيل والنفي على طريق
الاجمال للنقص والتمثيل والرب سبحانه موصوف بصفات الكمال التي لا
غاية فوقها منزه عن النقص بكل وجه فيمتنع ان يكون له صفة مثل في شيء
من صفات الكمال فاما صفات النقص فهو منزه عنها مطلقا واما صفات
الكمال فلا يماثله بل ولا يقاربه فيها شيء من الاشياء والنفي فيه يجمعه نوعان

نفي

نفي النقص ونفي مماثلة غيره في صفات الكمال كما دل على ذلك سورة قل هو الله احد
وغيرها مع دلالة العقل على ذلك وارشاد القرآن الى ما يدل على ذلك من العقل بل قد
اخبر الله ان في الاخرة من انواع النعيم ما ليس له شبيه كما انواع المطاعم والملابس
والمشارب والمناكح وغير ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا مما في
الجنة الا الاسماء فحقايق تلك اعظم من حقايق هذه بما لا يعرف قدره وكلاهما
مخلوق وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا
كان هذان المخلوقان متفقين في الاسم مع ان بينهما تفاوت في الحقيقة
وتباين لا يعرف قدره في الدنيا فمن المعلوم ان ما يتصف به الرب من صفات
الكمال مباينة لصفات خلقه اعظم من مباينة مخلوق لمخلوق ولهذا قال اعظم
الخلق معرفة لله في الصحيح لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال في الدعاء الذي رواه احمد وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم او حزن قط فقال اللهم اني عبدك وابن
عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي
وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكان حزنه فرحا قالوا يا رسول الله افلا
نتعلمهن قال بلى ينبغي لكل من سمعهن ان يتعلمهن وتبين ان لله اسما
استاثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك ولا نبي واسماؤه تتضمن صفاته
ليست اسماء اعلام محضة كاسمه العليم والقدير والرحيم والكريم والمجيد والسميع
والبصير وسائر اسمائه الحسنى سبحانه وتعالى وهو سبحانه مستحق للكمال المطلق

ذكر اسم مظهر او مضمر دخل في مسماه اسم صفاته فهو لا يخرج عن مسمى اسمائه فمن قال
دعوت الله او عبدته فهذا انما دعى الحي العليم القدير الموصوف بالعلم والقدرة وسائر صفات
الكمال واما قوله لانه واحد ليس بجسم فان اراد بالواحد ما اراد الله ورسوله مثل قوله وإلهكم
اله واحد وهو الله الواحد القهار فهذا حق لان اراد بالواحد ما تريده الجهمية نفات
الصفات من انه ذات مجردة عن الصفات فهذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وانما
يقدر في الاذهان لا في الاعيان ويمتنع وجود ذات مجردة عن الصفات ويمتنع وجود حي
عليم قدير لا حياة له ولا علم ولا قدرة فاثبات الاسماء دون الصفات سفسطة في العقليات
وقرمطة في السمعيات الى ان قال وتمام ذلك ان نقول ان الناس عليهم ان يؤمنوا بالله
ورسوله فيصدقوه فيما اخبر ويطيعوه فيما امر فهذا اصل السعادة وجماعها والقرآن
كله يقرر هذا الاصل قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله
واولئك هم المفلحون فقد وصف الله سبحانه بالهدى والفلاح المؤمنين الموقنين
في هذه الايات وقال تعالى لما اهبط آدم من الجنة فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكره فان له معيشة ضنكا الى قوله تنسى فقد
اخبر ان من اتبع الهدى الذي اتى منه وهو ما جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى
وهو الذكر الذي انزله وهو كتبه الذي بعث بها الرسل بدليل انه قال بعد ذلك
كذلك اتتك اياتنا فنسيتها الى ان قال فالله سبحانه بعث الرسل بما هو
يقتضي الكمال من اثبات اسمائه وصفاته على وجه التفصيل والنفي على طريق
الاجمال للنقص والتمثيل والرب سبحانه موصوف بصفات الكمال التي لا
غاية فوقها منزه عن النقص بكل وجه فيمتنع ان يكون له صفة مثل في شيء
من صفات الكمال فاما صفات النقص فهو منزه عنها مطلقا واما صفات
الكمال فلا يماثله بل ولا يقاربه فيها شيء من الاشياء والتنزيه يجمعه نوعان

نفي

نفي النقص ونفي مماثلة غيره في صفات الكمال كما دل على ذلك سورة قل هو الله احد
وغيرها مع دلالة العقل على ذلك وارشاد القرآن الى ما يدل على ذلك من العقل بل قد
اخبر الله ان في الاخرة من انواع النعيم ما ليس له شبيه كانواع المطاعم والملابس
والمشارب والمناكح وغير ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا مما في
الجنة الا الاسماء فحقايق تلك اعظم من حقايق هذه بما لا يعرف قدره وكلاهما
مخلوق وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا
كان هذا ان المخلوقان متفقين في الاسم مع ان بينهما تفاوت في الحقيقة
وتباين لا يعرف قدره في الدنيا فمن المعلوم ان ما يتصف به الرب من صفات
الكمال مباينة لصفات خلقه اعظم من مباينة مخلوق لمخلوق ولهذا قال اعظم
الخلق معرفة لله في الصحيح لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال في الدعاء الذي رواه احمد وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم او حزن قط فقال اللهم اني عبدك وابن
عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي
وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكان حزنه فرحا قالوا يا رسول الله افلا
نتعلمهن قال بلى ينبغي لكل من سمعهن ان يتعلمهن وتبين ان لله اسما
استاثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك ولا نبي واسماؤه تتضمن صفاته
ليست اسماء اعلام محضة كاسمه العليم والقدير والرحيم والكريم والمجيد والسميع
والبصير وسائر اسمائه الحسنى سبحانه وتعالى وهو سبحانه مستحق للكمال المطلق

لانه واجب الوجود بنفسه يمتنع العدم عليه ويمتنع ان يكون المخلوق اكمل من
الخالق فالخالق الواجب بنفسه احق بالكمال الى ان قال فللرب سبحانه وتعالى الكمال
على وجه التفصيل كما اخبرت به الرسل فان الله اخبر انه بكل شيئ عليم وعلى كل
شيئ قدير وانه سميع بصير وانه عليم قدير عزيز حكيم غفور رحيم ودود مجيد
وانه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويرضى عن المؤمنين الذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وانه خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش وانه كلم موسى تكليما وناداه وناجاه الى غير ذلك
مما جاء به الكتاب والسنة وقال في التنزيه ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير
هل تعلم له سميا فلا تضربوا لله الامثال ولم يكن له كفوا احد فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون الى ان قال فاسم الصمد يتضمن صفات الكمال كما روى عن ابن عباس
انه قال العليم الذى كمل في علمه والقدير الذى كمل في قدرته والسيد الذى كمل في سوددة
والشريف الذى كمل في شرفه والعظيم الذى كمل في عظمته والحليم الذى كمل في حلمه
والحكيم الذى كمل في حكمته والذى كمل في انواع الشرف والسودد هو الله هذه
صفته والاحد يتضمن نفى المثل له والتنزيه الذى يستحقه بجمعه نوعان نفى النقص
عنه والثانى مماثلة شيئ من الاشياء فيما يستحقه من صفات الكمال له مع نفى مماثلة غيره
له بجميع ذلك كما دل عليه هذه السورة قال رحمه الله تعالى لما ذكر هذا الاما على طائفة
انهم المصيبون في التوحيد دون غيرهم احتجنا الى التنبيه على ذلك فنقول ما ذكره
من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فان هذا اللفظ في صفات الله تعالى لم ينطق به لا كتاب
ولا سنة لا نفيا ولا اثباتا ولا تكلم به احد من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم
لا اهل البيت ولا غيرهم واما قوله ولانه ليس في جهة فيقال للناس في اطلاق الجهة
ثلاثة اقوال فطائفة تنفيها وطائفة تثبتها وطائفة تفصل وهذا النزاع موجود

في المثبتة

في الثبتة للصفات من اصحاب الائمة واشالهم من اهل الكتاب والسنة الخاصة
في ذلك واثباته نزاع لفظي ليس هو معنوي وذلك ان لفظ الجهة قد يراد به ما هو
موجود وقد يراد به ما هو معدوم ومن المعلوم انه لا موجود الا الخالق والمخلوق
فاذا اريد بالجهة امر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا والله تعالى لا يحصره
ولا يحيط به شيء من المخلوقات فانه باين من المخلوقات وان اريد بالجهة امر عدمي
وهو ما فوق العالم فليس هناك الا الله سبحانه فاذا قيل انه في جهة كان
معنى الكلام انه هناك فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق
الجميع عال عليه واذا كان كذلك فهو قد استدل على عدم الرؤية بكونه ليس في
جهة وهذا الموضع تنازع فيه مثبتو الرؤية فقال الجمهور بما دل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضامون في رؤيته
وهذا الحديث منقول من طرق كثيرة مستفيضة بل متواتر عند اهل العلم بالحديث
اتفقوا على صحته مع انه قد جاء من وجوه كثيرة قد جمع طرقها اهل العلم بالحديث
كابي الحسن الدارقطني وابي نعيم الاصبهاني وابي بكر الآجري وغيرهم وقد اخرج
اصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم ذلك من وجوه متعددة توجب لمن كان
عارفا بها العلم القطعي بان الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك وجمهور الخلق على
ان الله تعالى فوق العالم وان كان احدهم لا يلفظ بلفظ الجهة فهم يعتقدون
بقلوبهم ويقولون بالسنتهم ان ربهم فوقهم ويقولون ان هذا امر فطروا عليه
وجبلوا عليه كما قال الشيخ ابو الفضل الهمداني لبعض من اخذ ينكر الاستواء
ويقول لو استوى على العرش لقامت به الحوادث فقال له ابو الفضل ما معناه
انك لا تستوي على علم بالسمع ولم يرد به لم نعرفه فدعنا من هذا واخبرنا عن هذه
الضرورة التي نجدها في قلوبنا فانه ما قال عارف قط يا الله الا قبل ينطق

لسانه يجد في قلبه معنى يطلب العلو لا يلتفت عنه يمنة ولا يسرة فهل عندك من
حيلة في دفع هذه الضرورة عن قلوبنا فلطم المتكلم رأسه وقال حيرني الهمداني حيرني
الهمداني ومضمون كلامه ان دليلك على النفي لو صح فهو نظري ونحن نجد علما
ضروريا بهذا فنحن مضطرون الى العلم بالاثبات والى هذا القصد فهل عندك
حيلة في دفع هذا العلم الضروري والقصد الضروري الذي يلزمنا لزوما لا يمكننا
دفعه عن انفسنا قال رحمه الله تعالى وقد تقدم النقل عن الامامية هل افعال
العباد خلق لله تعالى على قولين وكذلك الزيدية قال الاشعري اختلفت
الزيدية في الافعال على قولين فرقتان فالفرقة الاولى يزعمون ان افعال العباد مخلوقة
لله خلقها وابدعها واخترعها بعد ان لم تكن فهي محدثة له مخترعة والفرقة
الثانية يزعمون انها غير مخلوقة لله ولا محدثة وانها كسب للعباد احدثوها
واخترعوها وفعلوها وابدعوها بل غالب الشيعة الاولين كانوا مثبتين
للقدر وانما ظهر انكاره في متاخريهم كانكار الصفات فان غالب متقدميهم
كانوا يقرون باثبات الصفات والمنقول عن اهل البيت في اثبات الصفات
لا يكاد يحصى الى ان قال الوجه الثاني ان يقال نقله عن الاكثرين ان العبد
لا تاثير له في الكفر والمعاصي نقل باطل بل جمهور اهل السنة المثبتة للقدر من
جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة و
استطاعة حقيقة وهم لا ينكرون تاثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه
الشرع والعقل من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب
وينبت النبات بالماء ولا يقولون ان القوى والطبايع الموجودة في الخارج لا تاثير
لها بل يقولون ان لها اثرا لفظا ومعنى حتى انه جاء لفظ الاثر في مثل قوله تعالى
ونكتب ما قدموا وآثارهم وان كان التاثير هناك لم يعم منه في الآية لكن يقولون هذا
التاثير هو تاثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع

انه خالق

انه خالق السبب والمسبب فلا بد له من سبب اخر يشاركه ولا بد له من معارض
يمانعه فلا يتم اثره الا مع خلق الله له بان يخلق السبب الاخر ويزيل الموانع ولكن
هذا القول الذي حكاه هو قول بعض المثبتة للقدر كالاشعري ومن وافقه من
الفقهاء من اصحاب مالك واحمد والشافعي حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا
طبايع ويقولون ان الله فعل عندها لا بها ويقولون قدرة العبد لا تاثير لها في
الفعل وابلغ من ذلك قول الاشعري ان الله فاعل فعل العبد وان فعل العبد
ليس فعلا للعبد بل كسب له وانما هو فعل الله فقط وجمهور الناس من اهل
السنة من جميع الطوائف على خلاف ذلك وعلى ان العبد فاعل الفعل حقيقة
واما ما نقله من نفي الغرض الذي هو الحكمة وكون الله لا يفعل لمصلحة العباد
فهذا قول قليل منهم كالاشعري وطائفة يوافقونه في موضع ويناقضون
قولهم في موضع آخر وجمهور اهل السنة يثبتون الحكمة في افعال الله وانه
ينفع عباده ومصلحتهم واما قوله وانه تعالى يريد المعاصي من الكافر ولا
يريد الطاعة منه فهذا قول طائفة منهم وهم الذين الارادة نوعا واحدا
ويجعلون المحبة والرضى والغضب بمعنى الارادة كما يقول ذلك الاشعري في
المشهور عنه واكثر اصحابه وطائفة ممن يوافقهم من الفقهاء من اصحاب مالك
والشافعي واحمد واما جمهور اهل السنة من جميع الطوائف وكثير من اصحاب
الاشعري وغيرهم فيفرقون بين الارادة والمحبة والرضى ويقولون وان كان يريد
المعاصي فهو لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها
وهؤلاء يفرقون بين مشيئته ومحبته وهذا قول السلف وقد ذكر ابو المعالي
الجويني ان هذا قول لا يعرف قديما من اهل السنة وان الاشعري خالفهم فجعل الارادة
هي المحبة فيقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكلما شاء فقد خلقه

واما المحبة فمتعلقة بامره فما امر به فهو محبوب والمحققون يقولون الارادة في كتاب الله
نوعان ارادة شرعية دينية وارادة كونية قدرية فالارادة الشرعية الدينية هي
المتضمنة للمحبة والرضا والكونية هي الشاملة لجميع الحوادث تقول المسلمين
ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن وهذا كقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء وهذا كقوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم فهذه الآية تعلقت بالضلال والاغوى وهذه هي المشيئة فانه
تعالى ماشاء كان واما الدينية فكقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا وقوله
مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وقوله انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فهذه الارادة في هذه
الايات ليست هي بحيث يجب مرادها كما في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وقوله المسلمين ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن وهذا
التقسيم في الارادة قد ذكره غير واحد من اهل السنة وقد ذكروا ان المحبة والرضى ليست
هي الارادة الشاملة لكل المخلوقات كما ذكر ذلك من ذكره من اصحاب احمد وابي حنيفة
وغيرهما كابي بكر عبد العزيز وغيره وان كان طائفة يجعلون المحبة والرضى
هي الارادة والاولى اصح ثم قال رحمه الله تعالى بعد ذكر كلام صاحب المنازل
وما فيه من حق وباطل قال باب التوحيد قال الله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو قال والتوحيد على ثلاثة اوجه الاول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد
والثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت الحقايق والتوحيد الثالث توحيد

ظاهر

قائم بالقديم وهو توحيد خاصة الخاصة الى اخره قال رحمه الله تعالى فنقول اما
التوحيد الاول الذي ذكره هو التوحيد الذي جائت به الرسل ونزلت به
الكتب وبه بعث الله الاولين والاخرين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
قال سبحانه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة
يعبدون وقال عز من قائل ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال وما ارسلنا قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقد اخبر الله عن كل من الرسل مثل
نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره وهذا اول دعوة الرسل واخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال في الصحيح من مات وهو يعلم ان لا اله
الا الله دخل الجنة وقال من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة والقرآن كله
مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة اليه وتعليق النجاة والفلاح بحصوله
ومعلوم ان الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته اخلاص الدين كله والفناء في
هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو ان تثبت الهية الحق في قلبك وتنفي الهية
ما سواه فتجمع بين النفي والاثبات فتقول لا اله الا الله فالنفي هو الفناء والاثبات
هو البقاء وحقيقته ان تفنى بعبادته عما سواه وبمحبته عن محبة ما سواه وبالا
الاستعانة به عن الاستعانة بما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن
طاعة ما سواه وبموالاته عن موالاة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالتوكل
عليه عن التوكل على ما سواه وبالتفويض اليه عن التفويض الى ما سواه وبالانابة اليه
عن الانابة الى ما سواه وبالتحاكم اليه عن التحاكم الى ما سواه وبالتحاصم اليه عن التحاصم
الى ما سواه كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قام يصلي

وقد روى انه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن
ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق وقولك الحق ووعدك
الحق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك
اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت
فاغفر لي ما قدمت وما اخرت ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا
فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم وقال افغير الله ابتغي حكما وهو الذي
انزل اليكم الكتاب مفصلا وقال تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد
اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وقال تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا
قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين وهذا التوحيد
كثير في القرآن وهو اول الدين واخره وظاهره وباطنه وذروة سنام هذا التوحيد
لاولي العزم من الرسل للخليلين محمد وابراهيم فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وافضل
الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابراهيم كما في الصحيح انه قال عن خير البرية انه
ابراهيم وهو الامام الذي جعله الله اماما وهو الامة والامة القدوة الذي
يقتدى به لانه حقق هذا التوحيد وهو الحنيفية ملة ابراهيم قال تعالى
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون من دون الله الى قوله لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الاخر الى غير ذلك من الايات الحاكية توحيد ابراهيم الخليل
والخليل هو الذي تخللت محبته خلال قلبه فلم يكن فيه مسلك لغير كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا ولما كانت الخلة تستلزم
كمال المحبة واستيعاب القلب لم يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم ان يخالل احدا

بل قال

بل قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل
الله ولهذا امتحن الله ابراهيم بذبح ولده والذبيح على القول الصحيح ابنه الكبير
اسمعيل كما دلت عليه سورة الصافات وغير ذلك فانه سئل ربه ان يهب
له من الصالحين فبشره بالغلام الحليم اسمعيل فلما بلغ معه السعي امره
ان يذبحه ليلا يبقى في قلبه محبة مخلوق تزاحم محبة الخالق والمقصود ان الخليلين
اكمل خاصة الخاصة توحيدا فلا يجوز ان يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
من هو اكمل توحيدا من نبي من الانبياء فضلا عن الرسل فضلا عن اولي العزم
فضلا عن الخليلين وكمال توحيدهما لتحقيق افراد الالوهية وهو ان لا يبقى
في القلب شيئ لغير الله اصلا بل يبقى العبد موالاة لله في كل شيئ يحب ما
احبه ويبغض ما ابغضه ويسخط بما يسخطه ويامر بما يامر به وينهى عما
ينهى عنه واما التوحيد الثاني الذي ذكره وسماه توحيد الخاصة فهو
الفناء في توحيد الربوبية وهو ان يشهد ربوبية الرب لكل ما سواه وهو
انه رب كل شيئ ومليكه والفناء اذا كان في توحيد الالهية وهو ان يستولي
على القلب شهود معبوده وذكره ومحبته حتى لا يحس بشيئ اخر مع العلم
بثبوت ما اثبته من الاسباب والحكم وعبادته وحده لا شريك له بالامر والنهي
واما الفناء الذي يذكره صاحب المنازل فهو الفناء في توحيد الربوبية لا في
توحيد الالوهية وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفي الاسباب والحكم
كما هو قول الجبرية الجهمية ومن تبعه والاشعري الى ان قال واهل
الملل كلهم متفقون على ان الله تعالى يثيب على الطاعات ويعاقب على المعاصي
وان كانت المعصية شاملة للنوعين فهم يسلمون الفرق بالنسبة الى العباد والمدعون
للمعرفة والحقيقة والفناء يطلقون ان لا يكون لهم مراد بل يريدون ما يريد الحق
تعالى فيقولون الكمال ان تفنى عن ارادتك وتبقى مع ارادة ربك وعندهم

ان جميع الكائنات بالنسبة الى الرب سواء فلا يستحسنون حسنة ولا يستقبحون سيئة قلت
وهذا الذي قالوه ممتنع عقلا ومحرم شرعا لكن المقصود هنا بيان قولهم ولهذا قال
في توحيدهم وهو التوحيد الثاني انه اسقاط الاسباب الظاهرة فان عندهم
لم يخلق الله شيئا سببا ولا يفعل عنده لا به قال والصعود عن منازعات العقول
وعن التعلق بالشواهد وهو ان لا يشهد في التوحيد دليلا ولا في التوكل سببا ولا
في النجاة وسيلة وذلك عندهم ليس في الوجود شيء يكون سببا لشيء اصلا ولا شيء
جعل لاجل شيء ولا يكون شيء بشيء فالشبع عندهم لا يكون بالاكل ولا العلم
الحاصل في القلب بالدليل ولا ما يحصل للمتوكل من الرزق والنصر له سبب اصلا
لا في نفسه ولا في نفس الامر ولا الطاعات عندهم سبب للثواب ولا المعاصي
سبب للعقاب فليس للنجاة وسيلة بل محض الارادة الواحدة يصدر عنها كل
حادث ويصدر جميع الاخر مقرونا به اقترانا عاديا لا ان احدهما علق بالاخر
او سبب له او حكمة له لاجل ما جرت به العادة من اقتران احدهما بالاخر بجعل
احدهما امارة ودليلا على الاخر بمعنى انه اذا وجد احد المقترنين عادة كان الاخر
موجودا معه وليس العلم الحاصل في القلب حاصلا بهذا الدليل بل هذا ايضا من جملة
الاقترانات العادية وكثير من اهل هذا المذهب يتركون الاسباب الدنيوية
ويجعلون وجود السبب كعدمه ومنهم قوم يتركون الاسباب الاخروية فيقولون
ان سبق العلم والحكم انا سعداء فنحن سعداء وان سبق انا اشقياء فنحن اشقياء
فلا فائدة في العمل ومنهم من يترك الدعاء بناء على هذا الاصل الفاسد مخالفا للكتاب
والسنة واجماع السلف وائمة الدين مخالف لصريح المعقول ومخالف للحس
والمشاهدة وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اسقاط الاسباب نظرا الى القدر
فرد ذلك كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من احد الا وقد
علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل
على الكتاب قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي الصحيح انه قيل يا رسول الله

يارسول الله ارايت ما يكدح فيه اليوم اشيء قضي عليهم ومضى فيما يستقبلونه
مما اتاهم فيه الحجة فقال بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم قالوا يارسول الله افلا
ندع العمل ونتكل على كتابنا قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن عنه صلى الله
عليه وسلم انه قيل له ارايت ادوية نتداوى بها ورقا نسترقي بها وتقاة نتقيها
هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وقال تعالى وهو الذي يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت
فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات وقال تعالى وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا
به الارض بعد موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال تعالى وهل
تتربصون بكم الا ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فكيف لا يشهد الدليل
قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية وقال تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال تعالى ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا
عنه واكلهم اموال الناس بالباطل وقال تعالى فاهلكناهم بذنوبهم وامثال ذلك
في القرآن كثير فكيف يمكن ان يشهد ان الله لم يجعل على توحيده دليلا ولا للنجاة
من عذابه وسيلة ولا جعل لما يفعله بالمتوكل سببا وهو مسبب الاسباب
وخالق كل شيء بسبب منه لكن الاسباب كما قال فيها ابو حامد وابو الفرج
ابن الجوزي الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد والاعراض عن الاسباب
بالكلية قدح في الشرع والتوكل يلتئم من معنى التوحيد والعقل والشرع فالمؤمن
المتوكل لا يلتفت الى الاسباب بمعنى انه لا يطمئن اليها ولا يثق بها ولا يرجوها
ولا يخافها فانه ليس في الوجود سبب يستقل بحكم بل كل سبب فهو مفتقر الى

امورا خر تضم اليه وله موانع وعوائق تمنع موجبه وما نعه والعلل التي تتقى
نوعان احدهما ان يعتمد على الاسباب ويتوكل عليها وهذا شرك الثاني ان يترك
ما امرت به من الاسباب وهذا محرم ايضا عليك بل عليك ان تفعل ما امرك به
من الاسباب وعليك ان تتوكل عليه في ان يعينك على ما امر به وان تفعل هو
ما لا تقدر عليه انت بدون تسبب منك وهولاء اثبتوا القدر ونفوا عمن
شاهده ان يستحسن حسنة يامر بها او يستقبح سيئة ينهى عنها فاثبتوا
القدر وابطلوا الشرع وهذا القول اشد مناقضات لدين الاسلام من قول القدرية
القدر الى ان قال قال صاحب المنازل واما التوحيد الثالث فهو توحيد
اختصه الحق لنفسه الى اخر كلامه وحقيقة قول هولاء الاتحاد والحلول الخاص
من جنس قول النصارى في المسيح وهو ان كل موحد هو الموحد ولا يوحد الله
الا الله وكل من جعل غير الله يوحد الله فهو جاحد عندهم كما قال ما وحد
الواحد من واحد اى من واحد غيره فكل من وحد جاحد فانه على قولهم
هو الموحد والموحد ولهذا قال هو توحيد اختصه الحق لنفسه الخ فيقال
اما توحيد الحق لنفسه بنفسه وهو علمه بنفسه وكلامه الذي يخبر به عن نفسه
كقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني وقوله
صفة قائمة به كما تقدم سائر صفاته من حياته وقدرته وغير ذلك وذلك
لا يفارق صفات الرب ويستقل الى غيره اصلا كسائر صفاته بل صفات المخلوق
لا تفارق ذاته ولا تستقل الى غيره فكيف بصفات الخالق ولكن هو سبحانه ينزل
على انبيائه من علمه وكلامه ما انزل كما انزل القرآن وهو كلامه على خاتم الرسل
وقد قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
فهو سبحانه يشهد لنفسه بالوحدانية والملائكة يشهدون واولوا العلم
من عباده يشهدون والشهادات متطابقة موافقة ومن هذا الباب قول
القايل بيت الرب وما يذكرونه من الاسرائيليات من قوله ما وسعني

ارضي

ارضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى اللين فليس المراد
ان الله نفسه يكون فى قلب كل عبد بل فى القلب معرفته ومحبته وعبادته وقد
احتج بعضهم بقوله النبى صلى الله عليه وسلم فاذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا
ربنا ولك الحمد فان الله قال على لسان نبيه سمع الله لمن حمده فيقال لهم النبى
صلى الله عليه وسلم لم يرد ما اردتم من الحلول والاتحاد ولكن اراد ان الله بلغكم
هذا الكلام على لسان رسوله واخبركم انه سمع دعاء من حمده فاحمدوه
انتم وقولوا ربنا ولك الحمد حتى يسمع الله دعاءكم فان الحمد قبل الدعاء
سبب لاستجابة الدعاء وهذا امر معروف ثم ذكر الشيخ قدس الله روحه فى
هذا الرد ما ذمه الله فى كتابه من الاختلاف اليهود والنصارى فقال
والاختلاف فى كتاب الله على وجهين احدهما ان يكون كله مذموما كقوله
تعالى وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق والثانى ان يكون بعضهم على
الحق وبعضهم على الباطل كقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الى قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ثم قال
ومن هذا الباب اى الاختلاف المذموم قوله تعالى وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وقد روى
عن ابن عباس انه قال اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبى صلى الله
عليه وسلم فقالت اليهود ليست النصارى على شئ ولا يدخل الجنة الا من
كان يهوديا وكفروا بالانجيل وعيسى وقالت النصارى ليست اليهود
على شئ ولا يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وكفر بالتوراة وموسى فانزل
الله هذه الآية والتى قبلها واختلاف اهل البدع هو من هذا النمط كالخارجى
يقول ليس الشيعى على شئ والشيعى يقول ليس الخارجى على شئ والقدرى
النافى يقول ليس المثبت على شئ والقدرى الجبرى يقول ليس النافى على شئ

والوعيد به يقولون ليس المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليس الوعيد به على شيء
والكلابي يقول ليس الكرامي على شيء والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء والاشعري
يقول ليس السالمي على شيء والسالمي يقول ليس الاشعري على شيء وصنف
السالمي كتابا على الاهوازي كتابا سماه مثالب الاشعري وصنف الاشعري كتاب
عسكر كتابا بينا فيه ذلك من كل وجه وذكر فيه مثالب السالميه وكذلك
اهل المذاهب الاربعة لا سيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الاصوليه
وخلط هذا بهذا والواجب على كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ان يكون اصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله يدور
على ذلك ويبتغيه اين وجده ويعلم ان افضل الخلق هم الصحابة فلا يتعين لشخص
انتصارا عاما مطلقا الا للرسول صلى الله عليه وسلم ولا لطائفة انتصارا مطلقا الا
للصحابة فان الهدى يدور مع الرسول حيث دار ومع اصحابه دون اصحاب غيره
حيث دارا فاذا اجمعوا لم يجمعوا على خطاء قط بخلاف اصحاب عالم من العلماء
فانهم قد يجمعون على خطاء بل كل قول قالوه ولم يقله الرسول صلى الله عليه وسلم غيره
من الامة لا يكون الا خطاء فان الذي بعث الله به رسوله ليس مسلما الا عالم واحد وصحابه
ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظير الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يشبه
بقول الرافضة في الامام المعصوم ولا بد ان يكون الصحابة والتابعون يعرفون
ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوع عن الذين تنسب
اليهم المذاهب في الاصول والفروع ويمتنع ان يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف
ما جاء به الرسول فان كل ما خالف الرسول صلى الله عليه وسلم فهو باطل ويمتنع
ان يكون احدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم باحسان
فان اولئك لم يجتمعوا على ضلالة فلا بد ان يكون قوله حقا ماخوذا عن ما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم موجودا قبله وكل قول قيل في ديننا الاسلام
مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله احد منهم بل قالوا خلافه فهو قول

باطل

باطل والمقصود هنا ان الله ذكر ان المختلفين جائتهم البينة وجائهم العلم
وانما اختلفوا بغيا بينهم ولهذا ذمهم وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين
بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق ونظير هذا قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائهم العلم بغيا بينهم قال الزجاج
اختلفوا للبغي لا لقصد البرهان وقال تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب
والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا الا من بعد ما جائهم العلم
بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون الى قوله
والله ولي المتقين فهذه المواضع من القرآن تبين ان المختلفين ما اختلفوا
الا من بعد ما جائهم العلم والبينات فاختلفوا للبغي والظلم لاجل اشتباه
الحق بالباطل عليهم وهذا حال اهل الاختلاف المذموم كل منهم يبغي على الآخر
فيكذب ما معه من الحق مع علمه انه حق ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع
العلم بانه باطل وهؤلاء كلهم مذمومون في الكتاب والسنة فان ما منهم الا من
خالف حقا واتبع باطلا ولهذا امر الله الرسل ان تدعو الى دين واحد وهو دين
الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم و
موسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
وقال في آية اخرى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
كل حزب بما لديهم فرحون اي كتبا تبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله
فصاروا مختلفين مفترقين لانا اهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية
المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره

في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا
الزكاة وذلك دين القيمة وقال في الاية الاخرى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم الى قوله ولا تكونوا
من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون فنهاه
ان يكون من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا واعاد حرف من ليتبين
ان الثاني بدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وما قبله توطئة له وقال
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلفوا فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم الى قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فاخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون وقد ذكر في موضع
آخر ان دين الانبياء كلهم الاسلام كما قال تعالى عن نوح عليه السلام وامرت ان اكون
من المسلمين وقال عن ابراهيم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى
بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون وقال وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقال عن السحرة ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال عن يوسف فاطر السموات
والارض انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال عن
بلقيس رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال تعالى
يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار وقال تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد بانا
مسلمون وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء
ديننا واحد وشرائع الشرع لا يمنع ان يكون الدين واحدا وهو الاسلام
كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه فانه هو دين الاسلام اولا واخرا
وكانت القبلة في اول الامر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة وفي

كذا

وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام وهكذا سائر ما شرع للانبيا
قبلنا ولهذا حيث اسم الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا كقوله
تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وقوله اهدنا الصراط المستقيم السورة وقوله وهديناهما الصراط المستقيم
وقوله اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وقوله ويهديك صراطا مستقيما
وقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات وهذا يطابق ما في كتاب الله من ان الاختلاف المطلق
كله مذموم بخلاف المقيد الذي قيل فيه ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا
قد بين انه اختلاف بين اهل الحق والباطل كما قال تعالى هذان خصمان اختصموا
في ربهم وقد ثبت في الصحيح انها نزلت في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن عمه
وعبيدة بن الحارث ابن عمه والمشركين الذين بارزوهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة
وقد تدبرت كتب الاختلاف التي تذكر فيها مقالات اما نقلا مجردا مثل كتاب
المقالات للاشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابي عيسى الوراق او مع انتصار
لبعض الاقوال كسائر ما صنفه اهل الكلام على اختلاف طبقاتهم فرايت عامة الاختلاف
الذي فيها من الاختلاف المذموم واما الحق الذي بعث الله به رسوله وانزل به كتابه
وكان عليه سلف الامة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر احدهم في المسئلة
عدة اقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه وليس ذلك لانهم يعرفونه
ولا يذكرونه بل لانهم لا يعرفونه ولهذا كان السلف والائمة يذمون هذا الكلام ثم
اشار الى قول الفلاسفة واختلافهم في مقالاتهم وانه لا يحصيه احد كثرة الى ان قال
والمقصود ان كتب اهل الكلام يستفاد منها رد بعضهم على بعض وهذا لا يحتاج اليه
من لا يحتاج الى رد المقالة الباطلة لكونها لم تخطر على قلبه ولا هناك من يخاطبه
ولا يطالع كتابا هي فيه ولا ينتفع به من لم يفهم الرد بل قد يستضر به من عرف

الشبهة ولم يعرفوا فسادها ولكن المقصود هنا ان هذا هو العلم الذي في كتبهم
فانهم يردون باطلا بباطل وكلا القولين باطل ولهذا كان مذموما منهيا عنه
عند السلف والائمة وبكل حال فهم يذكرون من عيوب باطل غيرهم وذمه ما
ينتفع به وبمثاله ذلك تنازعهم في مسائل الاسماء والاحكام والوعد والوعيد
فالخوارج والمعتزلة يقولون صاحب الكبائر الذي لم يتب منها مخلد في النار
ليس معه شيء من الايمان ثم الخوارج تقول هو كافر والمعتزلة توافقهم على
الحكم لا على الاسم والمرجئة تقول هو مؤمن كامل الايمان لا نقص في ايمانه
كايمان الاولياء والانبياء وكثير من متكلمة المرجئة تقول لا يعلم ان احدا من اهل
القبلة من اهل الكبائر يدخل النار ولا ان احدا لا يدخلها بل يجوز ان يدخلها
جميع الفساق ويجوز ان لا يدخلها احد منهم ويجوز دخول بعضهم ويقولون
من اذنب وتاب لا يقطع بقبول توبته بل يجوز ان يدخل النار ايضا
فلم يفقوا وهذا كله ولهذا سموا الواقفة وهذا قول القاضي ابي بكر وغيره
من الاشعرية وغيرهم فيجعل اولئك بنصوص الوعيد وعمومها وسار ضهم
هؤلاء بنصوص الوعد وعمومها الى ان قال وعند الجهمية الايمان مجرد تصديق
القلب وعمله وهذا قول جهم والصابوني والاشعري في المشهور عنه واكثر
اصحابه وعند فقهاء المرجئة هو قول اللسان مع تصديق القلب وعلى
القولين اعمال القلب ليست من الايمان الى ان قال واما اهل السنة والحديث من
الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين فانهم اثبتوا الكتاب كله ولم يحرفوا شيئا
من النصوص وقالوا نحن نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ويقولون
الله خالق كل شيء وربه ومليكه وكل ما سواه مخلوق فكل ما حدث بمشيئته وقدرته
لا يكون في ملكه ما لا يشاء ويخلقه فلا يقدر احد ان يمنع الله عما اراد ان يخلقه

ويكون

وبكفه فانه الواسع القهار ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده وقال ان الله يامر بالايمان والعمل الصالح وينهى عن الكفر والفسوق
والعصيان ويحب كل ما امر به ويرضاه ويكره كل ما نهى عنه ويسخطه وهو سبحانه
لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر قالوا وليس كل ما امر العباد واراده منهم ان
يفعلوه الا ما هو ان يخلقه لهم ويعينهم عليه بلا عائق يحول الطاعة لمن امره بها
فضل منه كسائر النعم وهو يختص برحمته من يشاء وقد قال سبحانه الله الخالق
والامر فالرب سبحانه خالق كل شيء وكل ما خلقه فهو بارادته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
فما لم يكن لم يرد ان يخلقه وما كان فقد اراد ان يخلقه وهو لا يريد الا ما سبق علمه بانه
سيخلقه فان العلم يطابق المعلوم وقد امر عباده بالحسنات التي تنفعهم ونهاهم
عن السيئات التي تضرهم والحسنات محبوبة لله مرضية له والسيئات مكروهة
له يسخطها وينسخط على اهلها وان كان الجميع مخلوقا له فانه خلق جبرائيل و
ابليس وهو يحب جبرائيل ويبغض ابليس وخلق الجنة والنار والظل
والنور والظل والحرور والموت والحياة والذكر والانثى والاعمى والبصير و
قال لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات وقال افنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقد خلق
الطيبات والخبيثات وليس الطيبات كالخبائث وليس الغائط والجوب كالعذب
والبول وهو سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وهو طيب لا يقبل
الا طيبا وهو نظيف يحب النظافة وجميل يحب الجمال وليس كل ما خلقه يصعد
اليه ويكون محبوبا له مرضيا عنده وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة

من ايمان قال رجل يا رسول الله الرجل يحب ان يكون نعله حسنا وثوبه حسنا افمن الكبر
ذاك قال لا ان الله سبحانه جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقوله جميل يحب
الجمال اى يحب ان يتجمل العبد له ويتزين كما قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وهو
يكره ان يصلي الرجل عريانا بل يكره ان تصلي المراة مكشوفة الراس وقد قال صلى الله عليه
وسلم لا يقبل الله صلاة حائض الا بخمار ولهذا كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون
ان الله امرنا بهذا قال تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ٥
فتحسين النعل والثوب لعباد الله تعالى من الجمال الذي يحبه الله وهو المقصود
هنا ذكر ما يحبه الله ويرضاه وهو الذي يثاب اصحابه عليه الى ان قال رحمه الله تعالى
والله ارسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال تعالى الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
ليقوم الناس بالقسط وقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال تعالى فان جاؤك فاحكم او اعرض عنهم الآية وقال
تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم فامره ان يحكم بالقسط وان
يحكم بما انزل الله فدل ذلك على ان القسط هو ما انزل الله فما انزل الله هو القسط
ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين ان يحكم بالعدل لقوله تعالى واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل فليس لكم ان تحكموا بظلم ابدا والشرع الذي يجب على حكام
المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم اصلا بل حكم الله احسن الحكم والشرع
هو ما انزل الله فكل من حكم بما انزل الله فقد حكم بالعدل لكن العدل قد يتنوع
بتنوع الشرائع والمناهج فيكون العدل في كل شرعة بحسبها ولهذا قال وان
حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمون وعندهم
التوراة فيها حكم الله الى قوله تعالى لكل جعلنا شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم الى قوله ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ذكر
سبحانه حكم التوراة والانجيل ثم ذكر انه سبحانه انزل القرآن وامر نبيه ان يحكم بالقرآن ولا
يتبع اهوائهم عما جاءه من الكتاب واخبر انه جعل لكل نبي من الانبياء شرعة ومنهاجا

فجعل

فجعل لموسى وعيسى ما في التوراة والانجيل من الشرعة والمنهاج وجعل للنبي صلى الله
عليه وسلم ما في القرآن من الشرعة والمنهاج وامره ان يحكم بما انزل الله واخبره انه من
ابتغى غير فقد ابتغى حكم الجاهلية وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون ولا ريب ان من لم يعتقد وجوب الحكم بما انزل الله على رسوله فهو كافر
فمن استحل ان يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما انزل الله فهو كافر
فانه عامن امة الا وهي تامر بالحكم العدل وقد يكون العدل في دينها ما ران كثيرا
بل كثير من المنتسبين للاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزل الله كسوالف
البادية وكاوامر الطواغيت ويرون ان هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون
الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فان كثيرا من الناس اسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون
الا بالعادات الجارية لهم التي يامر بها الطاغوت فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز
الحكم الا بما انزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا ان يحكموا بخلاف ما انزل الله
فهم كفار والا فهم كانوا جاهلا لكن تقدم امرهم وقد امر الله المسلمين كلهم اذا
تنازعوا في شيء ان يردوه الى الله والرسول فقال تعالى اطيعوا الله والرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فمن لم يلتزم بحكم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد اقسم الله بنفسه
انه لا يؤمن وامن كان ملتزما بحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع
هواه فهذا بمنزلة امثاله من العصاة والمقصود ان الحكم بالعدل واجب
مطلقا في كل زمان ومكان على كل احد ولكل احد والحكم بما انزل الله على محمد هو عدل خاص
وهو اكمل انواع العدل واحسنها واحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وعلى من اتبعه
ومن لم يلتزم بحكم الله ورسوله فهو كافر وهذا واجب على الامم في كل
ما تنازعت فيه من الامور الاعتقادية والعملية قال تعالى كان الناس امة واحدة

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وقال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال تعالى فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول فالامور المشتركة بين الامة لا يحكم فيها الا الكتاب
والسنة ليس لاحد ان يلزم الانسان بقول عالم ولا امير ولا شيخ ولا ملك ومن اعتقد
ان يحكم بين الناس شيئا من ذلك ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر الى ان
قال رحمه الله تعالى وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه الاية قال ابن عباس تبيض وجوه اهل السنة
وتسود وجوه اهل البدعة والله تعالى امر المؤمنين كلهم ان يعتصموا بحبله
جميعا ولا يتفرقوا وقد فسر حبله بكتابه وبدينه وبالاسلام وبالاخلاص و
بعهده وبامره وطاعته وبالجماعة وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين
لهم باحسان فان القرآن يامر بدين الاسلام وذلك هو عهده وطاعته وامره
والاعتصام به انما يكون في الجماعة ودين الاسلام حقيقته الاخلاص وفي
صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا
به وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم
فصل واما قوله عن اهل السنة انهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص
على امامة احد فانه مات عن غير وصية فالجواب ان يقال ليس هذا قول
جميعهم بل قد ذهب طوائف من اهل السنة الى ان امامة ابي بكر ثبتت بالنص
والنزاع في ذلك معروف في مذهب احمد وغيره وقد ذكر القاضي ابو يعلى في
ذلك روايتين عن احمد احداهما انها ثبتت بالاختيار فقد جماعة من اهل

الحديث

الحديث وبكر بن اخت عبد الواحد وقال شيخه ابو عبد الله بن حامد فاما الدليل
على استحقاق ابي بكر الخلافة دون غيره من اهل البيت والصحابة فمن
الله وسنة نبيه قال واختلف اصحابنا في الخلافة هل وجدت من حيث
النص او الاستدلال فذهب طائفة من اصحابنا الى ان ذلك بالنص
وانه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك نصا وقطع البيان على عينه حتما ومن اصحابنا
من قال ان ذلك بالاستدلال الجلي قال ابن حامد والدليل على اثبات ذلك
اخبار فمن ذلك ما اسنده البخاري عن جبير بن مطعم قال اتت امراة
النبي صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت ان جئت فلم اجدك
قال كانها تريد الموت قال فان لم تجديني فاتت ابا بكر وذكر شيا قال اخر
واحاديث اخر قال وذلك نص على امامته قال وحديث سفيان عن عبد الملك
بن عمير عن ربعي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر قال واسند البخاري عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نايم اتيت بقدحان لبن فشربت حتى
قليب عليها او لو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع
منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف ثم استحالت غربا فاخذها
عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن قال وذلك نص
في الامامة قال ويدل عليه ما اخبرنا ابو بكر وروى في مسند احمد عن حماد بن سلمة
عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم راى رؤيا فقلت انا رايت يا رسول الله كان ميزانا من السماء فوزنت
بابي بكر فرجحت بابي بكر ثم وزن ابو بكر بعمر فرجح ابو بكر بعمر ثم وزن عثمان ثم
رفع الميزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك

من يشاء قال ومن ذلك حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الذي بدي به فيه فقال ادعي لي اباك و
اخاك حتى اكتب لابي بكر كتابا ثم قال ابى الله والمسلمون الا ابا بكر وفي لفظ فلا
يطمع في هذا الامر طامع وهذا الحديث في الصحيح ورواه من طريق ابي داود الطيالسي
عن ابي مليكة عن عائشة قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعي لي عبد
الرحمن بن ابي بكر لاكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه الناس ثم قال معاذ الله ان يختلف
المؤمنون في ابي بكر وذكر احاديث تقدم في الصلاة وقال ابو محمد بن حزم
في كتابه في الملل والنحل اختلف الناس في الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت طائفة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا ثم اختلفوا فقال بعضهم
لما استخلف ابا بكر على الصلاة كان دليلا على انه اولى بالامامة والخلافة على
الامر وقال بعضهم لا ولكن كان اثبتهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة
بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة ابي بكر على امر الناس نصا جليا
قال ابو محمد وبهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين
قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون فقد
اتفق هؤلاء الذين شهد الله عليهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار
رضي الله عنهم ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام رحمه الله
وحينئذ قد بطل قدح الرافضي في اهل السنة بقوله انهم يقولون ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم ينص على امامة احد وانه مات من غير وصية والتحقيق
ان النبي صلى الله عليه وسلم دل المسلمين على خلافة ابي بكر وارشدهم اليها بامور

متعدده

متعدده من اقواله وافعاله واخبر بخلافته اخبارا راضيا بذلك حامدا له
فلو كان التعيين مما يشتبه على الامة لبينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانا قاطعا
فخلافة ابي بكر دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضي الله
ورسوله بها وانعقدت بمتابعة المسلمين له واختيارهم له اختيارا استندوا
فيه الى ما علموه من تفضيل الله ورسوله انتهى ملخصا والله اعلم
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله رب العالمين ص ٨ ع ٢

بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم هذه جواب اسئلة
وردت على شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن وفقنا الله واياه للصواب
السؤال الاول عن حديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فالجواب
الحديث عام في كل بدعة وهي التي ليس لها اصل في كتاب الله ولا سنة رسوله الله
ولا فعلها احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان فهذا ضابط لها في الجملة
والبدع كثرت في اواخر القرون الثلاثة لما افترقت الامة على ثلاث وسبعين
فرقة وكلها في النار الا واحدة كما ورد في الحديث من طرق وفي حديث العرباض
بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة
فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وقد ذكر

النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بعض البدع كبدعة الخوارج والقدرية وغيرها واخبر بما
سيقع منها جملة كقوله خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم انها تخلف
من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون وهي البدع والمحدثات
وهي التي لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا امر بها ولا فعلها الصحابة ولا التابعون
مع توفر دواعيهم على نقل السنن ولهذا قال في الحديث في حال الخلوف فمن جاهدهم
بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن
وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا معنى قول الله تعالى ام لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين مالم يأذن به الله ولهذا كثر الشرك في الامة بعبادة الاموات وبناء المساجد
على القبور والالحاد في اسماء الله وصفاته ومازال اهل السنة يصنفون في الرد على
اهل البدع بنصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الامة كالامام احمد رحمه الله تعالى
ومن قبله من علماء الحديث والفقه كابي حنيفة ومالك وابن المبارك وابي بكر المروذي
بعد الامام احمد وابنه عبد الله والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي وامام الائمة محمد بن خزيمة
في كتاب التوحيد واللالكائي والدارقطني والبخاري في صحيحه وفي افعال العباد
وغير هؤلاء مما لا يمكن حصرهم ولقد احسن من قال

والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع ابدا بدى امكان احدى الطوائف مشرك بالله
ما ذا دعاه دعى الها ثان هذا وثانيها فذلك جاحد فاذا دعاه دعى سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شركا وتعطيلا له قدمان هذا وثالث هذه الاقسم
غير الخلق ذا ك خلاصة الانسان يدعو الاله الحق لا يدعو شيئا سواه قط في الاكوان

يدعوه في الرغبات والرهبات وال حالات من عسر ومن اعلان

قلت وقد عمت البلوى بالطائفتين الاوليين مملوء الارض شركا وتعطيلا

وتاويلا

وتأويلا حتى اشتدت غربة الاسلام وعاد المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة
والسنة بدعة نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير حتى اظهر الله نور الاسلام
والايمان بدعوة من قام بالقرن الثاني عشر وهو شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى فاظهر كتب اهل السنة ونشرها بعد ان كانت مهجورة فاظهر العلم
بعد خفائه فلله الحمد على ظهور الحق وتمييز الحق من الباطل فلا يميز البدع من السنن
الا من رزقه طلب الحق بجده وطلب كتب اهل السنة وتأمل ادلة الكتاب والسنة
وما كان عليه السلف الصالح ومن اشنع البدع بدعة الرافضة ببناء المساجد
على قبور اهل البيت وهم اول من احدثها وعبدها كما احدثت الجهمية الالحاد
في الاسماء والصفات وهي من اشنع البدع ثم ظهرت بدعة الفلاسفة بسبب
ابن سينا والفارابي وهي اعظم البدع ومثلها بدعة اهل الوحدة احدثها
الحلاج فقتل لاجل ذلك ثم صارت الى ابن عربي وابن سبعين ومن وسائل
الشرك قصد القبور للدعاء عندها رجاء الاجابة قال شيخ الاسلام ذلك
بدعة لا قربة باتفاق الائمة وقد ذكرنا الضابط فيما تقدم وهو يغني عن
تعدادها الماضي ذلك من التطويل واما قول السائل فان كان الحديث على
ظاهره فما معنى قوله من سن في الاسلام سنة حسنة فله مثل اجرها واجر من
عمل بها الحديث فالمعنى انه من سبق الى سنة وفعلها وتبعه غيره فله مثل
اجره كالنفقة في الجهاد في سبيل الله مثلا والصدقة على المحتاج من المسلمين ونحو
ذلك وكذلك اذا كانت السنن مهجورة فاراد احياءها كما كان عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه اذا اراد ان يحيي سنة قد تركت في خلافة من قبله
وعرف انه يثقل احياءها على بعض الناس اخرج العطاء لهم اذا نفروا من احيائها
من اجورهم شيء وقد ورد الترغيب في احياء ما اميت من السنن وان من تمسك

بالسنة عند فساد الزمان فله اجر خمسين من الصحابة رضي الله عنهم لصبره على اذى
من يحاربه من اهل البدع وقلة المعين والناصر واما قوله في الفرقة الامامية
الاثني عشرية انهم كفار لانهم يدعون الخ فالجواب اما تلقيب الشيعة انفسهم
بالامامية فهذا اللقب لا يصدق عليهم بل الذي يصدق عليهم انهم رافضة لرفضهم
الحق ومخالفتهم اهله والغالب عليهم الغلو في اهل البيت وبناء المساجد على
القبور وعبادتها من دون الله تعالى والغلو هو اصل الشرك وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو فانما اهلك من كان قبلكم الغلو وقال صلى الله عليه
وسلم لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقد
نهى الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه ان يدعى معه غيره كما قال تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني
لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا
الا بلاغا من الله ورسالاته فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لاحد ضرا ولا رشدا
فكيف يعتقد في غيره انه يضر وينفع ويقصد بما نهى الله عنه من دعائه الذي
لم يجعل لاحد غيره فيه نصيبا كما قال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك فانك اذا من الظالمين وقال تعالى فلا تدع مع الله الها
آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب
له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون الاية وقال ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون والايات في النهي عن
دعوة غير الله والوعيد على ذلك اكثر من ان تحصر فترك الرافضة كغيرهم
ما دل عليه القرآن من النهي عن دعوة غير الله وارتكبوا ما نهى الله عنه واعتقدوا
هذا الشرك العظيم من اعظم القربات فتضرعوا عند ارباب القبور وعظموها
بما لم يسغ لمثله من التعظيم وبذلوا لارباب القبور نفايس الاموال واو
قفوا لهم الاوقاف تقربا اليهم ونحروا لهم النحاير وذبحوا لهم الذبايح

وعظموا

وعظموا السدنة تعظيم لصاحب القبر واعطوه الاموال تقربا بها الى صاحب القبر
وحجوا اليها وسموا السفر الى عبادتها حجا وغير ذلك مما يطول ذكره من الشرك الجلى
الذى لا يغفره الله ومع ذلك الحدوا فى الاسماء والصفات ووافقوا الجهمية
ونحوهم وخالفوا اهل السنة فى اكثر السنن وصنف ابن المطهر كتابا منتصرا
لهذه الطائفة وذكر كثيرا من شركهم وضلالهم لكن رد عليه شيخ الاسلام ابن
تيمية رحمه الله بكتاب سماه منهاج السنة فى مجلدين كبار فصار علما للموحدين
وحجة على الملحدين من طوائف البدع فرحم الله ذلك الشيخ فلقد اراح اهل السنة
جميع
برده على صاحب كل بدعة فهذه الطائفة وان كانوا اثنى عشر فرقة فى زعمهم
فالشرك والبدع هو الغالب عليهم وان كان بعضهم يزعم ان فيهم فرقة انما ابتدعوا
فى تفضيلهم علي بن ابى طالب على ابى بكر وعمر رضى الله عنهم ولا اظنهم سلموا من غيرها
واول من احدث الشرك فى الامة هذه الطائفة فانهم اعتقدوا فى امير المؤمنين
على بن ابى طالب الالهية فحفد الاخاديد وملاها حطبا واوقدها بالنار فقذفهم
فيها ومنهم الزيدية الذين هم بصنعا واليمن ولهم بدع لكنهم ياخذون ببعض
اقوال اهل السنة ويقررون فى كتبهم وفيهم من يميل الى قول اهل السنة وفيهم
من يرجع اليه واما اهل المشرق من الشيعة فلا علمت فيهم احدا يقول بقول
اهل وهم اول من احدث البناء على قبور اهل البيت كما تقدم لما صار لبنى بويه
ولايه فى المشرق فى خلافة بنى العباس فلما استخلف المتوكل امر بالمسجد
الذى بنى على الحسين فهدم وذلك بوجود من الامام احمد واهل الحديث فاستحسن
ذلك منه لان العلما افتوه بذلك هذا هو الذى تواتر عن الرافضة وعلة المسلمين
من احوالهم نسئل الله تعالى السلامة والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة واما
قوله فان كانوا كفارا فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة
فالجواب يظهر بمقدمة نافعة وذلك بان يعلم ان هذه الكلمة العظيمة

هي اصل دين الاسلام وعليها تبنى الشريعة والاحكام وبتميز الحلال من الحرام وهي
دعوة الرسل ملة ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وسلم الذي دعى اليه امته وجاهدهم عليه
وذلك انها بلفظها دلت على امرين لا يحصل اسلام ولا ايمان الا بحصولهما علما
وعملا واعتقادا نفي الشركة في الالهية وهي العبادة والبراءة منه واخلاص
العبادة بجميع افرادها لله تعالى كما قال تعالى عن خليله عليه السلام واذ قال ابراهيم
لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني الى قوله وجعلها كلمة
باقية في عقبه اي لا اله الا الله فهذا معناها مطابقة وقال تعالى قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اي من اخوانه المرسلين كما قاله ابن جرير
الطبري في تفسيره اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم الايه فمن كفر بالشرك الذي نفته لا اله الا الله ونفاه بلسانه وقلبه وتبرأ من
فعله واخلص العبادة بجميع انواعها لله تعالى قولا واعتقادا وعملا فهذا الذي
قال لا اله الا الله فاستجاب للرسل فيما دعوا اليه فاذا قال لا اله الا الله فقد قالها
صدقا من قلبه كما في الحديث والقرآن فتأوله الى آخره يقرر هذا المعنى كما في قصص
الانبياء ومما بين معناها قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى وهي لا اله الا الله قال الامام مالك الطاغوت هو
ما عبد من دون الله وقال ابن كثير الطاغوت الشيطان وما دعا اليه من عبادة غير
الله وهذا معنى ما نفته كلمة الاخلاص وهو الكفر بما يعبده المشركون من
دون الله وقوله ويؤمن بالله هو التوحيد والاخلاص فمن لم يخلص العبادة لله
ولم يكفر بما عبد من دون الله لم يكن مستمسكا بلا اله الا الله وان قالها بلسانه فقد
كذب وصار قوله حجة عليه كما قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله قال الله تعالى والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
وذلك ان قلوب المنافقين لم تصدق بما قالته السنتهم فحكم الله عليهم بالكذب
بحسب ما في قلوبهم من الشك والريب اذا تقرر ذلك فلنذكر كلام العلماء وذكر
قال ابو سليمان الخطابي في قوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

معلوم

معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم
يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف وقال القاضي عياض اختصاص عصمة المال والنفس
بمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان وان المراد بذلك مشركوا العرب
واهل الاوثان فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا اله الا الله
اذا كان يقولها في كفره انتهى ملخصا وقال النووي لا بد مع هذا من الايمان
بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في رواية ويؤمن بي وبما جئت به
قلت وهذا الذي ذكره في الحديث من القيود الثقال التي لا تنفع هذه
الكلمة قائلها الا بحصوله وقال شيخ الاسلام ابن تيمية لما سئل عن قتال
التتار فقال كل طائفة ممتنعة عن التزام شرايع الاسلام الظاهرة من هؤلاء
القوم او غيرهم فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرايعه وان كانوا مع ذلك
ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرايعه كما قاتل ابو بكر والصحابة رضي الله
عنهم مانعي الزكاة وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم قال فاذا طائفة امتنعت عن
بعض الصلوات المفروضات او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال
او الخمر والميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام جهاد الكفار او غير ذلك
من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لاحد في جحودها او تركها
التي يكفر الواحد بجحودها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت
مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء قال وهؤلاء عند المحققين
ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الاسلام انتهى وهذا الذي ذكره
هؤلاء العلماء اجماع من العلماء رحمهم الله لان لا اله الا الله لا بد من العمل بها وبما
تقتضيه فاذا لم يحصل العمل فلا ريب ان القول لا ينفع بدون العمل لا سيما في كلمة
الاخلاص التي هي اصل الاسلام والايمان فلا ينفع شطر معناها الا بالعمل بالشطر
الاخر فالشطر الاول هو البراءة من عبادة ما يعبد من دون الله والبراءة ممن عبده

واخلاص العباده بجميع افرادها لله كما قال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني
براءة مما تعبدون الا الذي فطرني فتبرا من كل معبود سوى معبوده الذي فطره
وهو الله وقال في اخر الايه وجعلها كلمة باقية في عقبه اي لا اله الا الله وقال
تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءوا
منكم ومما تعبدون من دون الله الى اخر الايات وهاتين الايتين فيهما
الكفايه والهدى الى معنى لا اله الا الله وانه لابد من الكفر بما يعبد من دون الله
كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والطاغوت الشيطان وما زينه من عباده غير الله فمن لم يكفر
بالطاغوت فليس معه من لا اله الا الله ما ينفعه اذا لم تمنعه من الشرك والكفر
فان منعت من ذلك نفعت قائلها وان لم تمنع من الكفر والشرك الاكبر كله
لم تنفع قائلها لتركه العمل بها او ببعض ما تقتضيه اذا تقرر هذا فلهذه
الكلمة شروط سبعة فلا بد من العلم بكمال معناها المنافي للجهل واما الجاهل
فلا ينفعه قول لا يعرف معناه لان العلم هو باب العمل والقول الثاني
اليقين بمعرفة المعنى بكماله المنافي للشك الوارد بورود الشبهات ه
الثالث المحبة والاخلاص كما قال العلامه ابن القيم رحمه الله تعالى
فالقلب بيت الله جل جلاله حبا واخلاصا مع الاحسان والمحبة
مع الاخلاص والاحسان تنافي كل شرك وبدعة الرابع الصدق المنافي للكذب
بخلاف حال المنافقين كما قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون كذبهم واكذبكذبهم بشهادته عليهم وبان واللام
لانهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقوله ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم
وكل من قال قولا لا يعتقد معناه او بعضه فقد كذب لان من الناس من يوحد
الله بفعله لكنه لم يكفر بالطاغوت فلم ينف ما نقته لا اله الا الله فقد اتى

بشط

بشطر هذه الكلمة وكفر بشطر منها وهو النفي فلم ينف ما نفت كما دل عليه قول الخليل واخوانه
من المرسلين وكما في قوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى فلابد من الاتيان بالامرين بيقين وقبول وانقياد فلابد من القبول المنافي
للرد والانقياد المنافي للترك لان من الناس من لا يقبل ما دلت عليه اما كبرا واما
حسدا وغير ذلك من الاسباب التي منعت كثيرا من الناس من قبول التوحيد ممن
دعى اليه ونصبوا له العداوة واستحلبوا الشبهات في دفع ما دعوا اليه من التوحيد ومنهم
من لا يحصل منه الانقياد حتى قال لا اله الا الله ولوازمها التوقف كما لها الواجب
على الانقياد كما فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله مانعي الزكاة وقتاله من
قال من اهل الردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان نبيا ما مات وكذلك بنو حنيفة
لما صدقوا مسيلمة كفروا وهم يقولون لا اله الا الله فهذه ستة شروط السابع
معاداة من اشرك بالله والبغرة منه وعدم موادته كما قال لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله الى قوله اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وقال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال تعالى ترى كثيرا منهم
يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون فاسجل عليهم بغضبه والخلود في النار ونفي الايمان وغير ذلك مما دلت
عليه الايات وهي كثيرة في القرآن وهذه الشروط كلها مما تقتضيه لا اله الا الله
فلا يصح قولها بدون هذه الشروط بكمالها والادلة على ذلك من الكتاب والسنة
اكثر مما ذكرنا ولله الحمد والمنة لا نحصي ثناء عليه واما قول السائل قوله صلى
عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فهل عمت الرخصة للنساء
ام الخطاب خاصة للرجال فالجواب ان هذا من العام المخصوص بقوله لعن
الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وهذا الحديث رواه
الامام احمد وابن ماجه والترمذي واحتج شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى
تحريمه للعن النبي صلى الله عليه زوارات القبور وصح الحديث فعلى يكون
هذا

الاذن مخصوصا بالرجال دون النساء والعارض لا تقوم به حجة ولا يفيد النسخ
واما الاذان والقراءة عند القبر بعد دفن الميت فالجواب ان الاذان
عند القبر بدعة منكرة ما انزل الله بها من سلطان ولا فعله احد ممن يقتدى
به وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما هو دون ذلك من الصلاة في المقبرة واليها
وان كان المصلي يصلي لله لئلا يكون ذلك ذريعة الى تعظيم القبور وعبادتها واما القراءة
حال الدفن فقال شيخ الاسلام نقل الجماعة عن احمد كراهة القراءة على القبور وهو قول
جمهور السلف وعليها قدماء اصحابه ولا رخص في اعتيادها عيدا كاعتياد القراءة
عنده في وقت معلوم واتخاذ المصاحف عند القبر بدعة ولو للقراءة ولو نفع الميت
لفعله السلف واما دعاء الزائر بقوله يا ربنا بحرمة نبيك وولييك اقض حاجتي
فالجواب ان هذا من التوسل بذات الاموات وهو من البدع المنكرة والذرائع الموصلة
الى الشرك ولذلك لم يفعله احد من الخلفاء الراشدين ولا من الصحابة فلو كان حقا لسبقونا
اليه فانهم اعظم الناس سبقا الى كل خير فتركهم ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم مع
قربهم من قبره يدل على انه من البدع التي يجب تركها يحقق ذلك انهم لما اجدبوا
في خلافة عمر لم يأتوا الى قبره يستسقون به كما كانوا يستسقون به في حياته بل
خرج عمر بالسابقين الاولين وغيرهم من الصحابة واستسقوا بعمه العباس وقال
اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك
بعم نبينا فاسقنا فيسقون ففرقوا بين حال الحياة والوفاة خوفا من الوقوع
فيما نهوا عنه من الغلو في الاموات ولكون الاستسقاء بالشخص انما هو بدعائه
بخلاف حال الميت فان الدعاء متعذر في حقه وهذا من غزارة علم الصحابة وقوة ايمانهم
وتمسكهم بما شرع لهم وتركهم ما لم يشرع وهذا هو سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية واما قوله في الطعام المنذور هل هو حلال ام
حرام وان كان حراما فبأي سبب حرم فالجواب ان ما قصد به الميت تقربا اليه
وتعظيما من طعام او غيره فهو حرام لان ذلك شرك بالله تعالى كما قال تعالى عن المشركين

وجعلوا

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الآية
فاذا خرج ذلك بالنذر فهو اعظم فيكون نذر معصية كما في الحديث الصحيح من نذر
ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيني فلا يعصه ولان النذر عبادة يجب
الوفاء به اذا نذر طاعة لله كما قال تعالى يوفون بالنذر وقال تعالى وما انفقتم من نفقة
او نذرتم من نذر فان الله يعلمه ومن نذر للميت فقد جعله شريكا لله في عبادته ومن
يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بقلم الفقير الى رحمة الحنان ابراهيم بن عجلان
عفي عنه وعن والديه وجميع المسلمين
المنان في سنة ١٣٠٤